

موقف القرآن من الرحمة وتجلياتها في الفرد والأسرة والمجتمع

طالب الماجستير نضال حسين عبد الرشيد السوداني

nethalalsodany@yahoo.com

المشرف: د. غلامرضا رئيسيان

جامعة فردوسي مشهد - كلية الالهييات والمعارف الاسلامية - قسم علوم القرآن والحديث - ايران

The position of mercy in the Holy Quran and its effects on the individual's life, family and society

MA Nazal Hussain Abd-Alhussain Alsoudani

Dr. Golam-Reza Raeisian

Ferdowsi University of Mashhad , College of Islamic Theology and Knowledge , Department of Qur'an and Hadith Sciences , Iran



Abstract:-

The Arab Ummah in the pre-Islamic era had been always immersing in murder and looting. So that there was not a speck of kindness in their hearts, and according to the sociological situation, they buried their daughters in the grave. Therefore, God sent the Prophet to rebuild the building of morality and then descended the Qur'an with an emphasis on positive moral concepts, especially mercy and kindness at the individual, social, and family levels. At the same time, we are currently facing challenges that have led to thousands of people being injured or dying due to deviations from the moral concept of mercy, relying on different religious perspectives.

Mercy is one of the important moral poles in Islamic philosophy, as the Holy Quran and the noble hadiths have placed great emphasis on the necessity of its implementation at the individual, family and social levels. It is also the basis of worship in the practical philosophy of Islam, leading God to not accept human duties at all without observing it.

Relying on a descriptive-analytical approach, this study, on the one hand, reveals the nature of mercy, and on the other hand, analyzes individual, family and social examples from the perspective of the Holy Quran. Of the results obtained are that mercy brings peace of mind to the individual, mutual love in the family, and social justice and mutual respect in society.

Key words: Holy Quran, Mercy, Individual, Family, Society. □

المخلص:

كانت أمة العرب في العصور الجاهلية تعيش غارقة في القتل والغارة، بعضها مع البعض، على الدوام، حيث لم تكن في قلوبهم قدر قلامة راحة، فيقومون بوأد بناتهم الرينة جراء ماهية وضعهم الاجتماعي. فبعث النبي ليعيد بناء الأخلاق المنهارة مرة أخرى، ثم نزل القرآن مؤكدا على المفاهيم الأخلاقية الإيجابية لا سيما الرحمة والعودة ومراعاتهما في المستوى الفردي والاجتماعي. هذا، وإتنا نعيش حاليا في عصر قد ورد في خضم المعارك التي تركت الآلاف من الجرحى والقتلى، نتيجة انحرف المفهوم الأخلاقي للرحمة، انطلاقا من وجهات دينية خاصة.

تعد الرحمة من الأقطاب الأخلاقية في الفلسفة الإسلامية، حيث أكد على وجوب مراعاتها في المستوى الفردي والاجتماعي، من ناحية القرآن الكريم والأحاديث الشريفة تأكيدا كثيرا. وكذلك تعد اللبنة الأولى للبناء العبادي في فلسفة الإسلام العملية، حيث لا يقبل الله فرائضنا دون مراعاتها، على إطلاق الأمر. تهدف هذه المقالة من خلال اعتمادها على المنهج الوصفي- التحليلي، إلى كشف الغطاء عن ماهية الرحمة، من جهة، وتحليل تجلياتها الفردية والأسرية والاجتماعية انطلاقا من القرآن الكريم، من جهة أخرى. ومن النتائج التي توصلت إليها هذه المقالة، أن مراعاة الرحمة تكسب الفرد السكينة والهدوء، وتعطي الأسرة المودة والحب، وتصيب المجتمع بصبغة العدالة الاجتماعية والاحترام المتقابل.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الرحمة، الفرد، الأسرة، المجتمع.

المقدمة:

إن الرحمة تعد من المفاهيم الأخلاقية التي، لم ترد في القرآن الكريم فحسب، بل ورد في الكتب السماوية الأخرى، وأكد على وجوب مراعاتها في الصعيد الفردي والأُسري والاجتماعي. عليه، "اتفقت الأديان السماوية قاطبة على مجموعة من القيم الأخلاقية، مثل المحبة والتعاون والرحمة، لما في هذه القيم من أثر في حماية الفرد والأسرة والمجتمع من التدهور والتفكك والتخريب والتفتت، وإن أكثر الأفراد والأسر نجاحاً في حياتهم العلمية هم أولئك الذين يرتبطون فيما بينهم بأواصر المحبة والتراحم والألفة" (ليلا شنتوح، د.ت: ٤٦٩) (Leila shantoh:, P 469). وإذا تحتل النعمة مكان هذا المفهوم الأخلاقي لا يعني أنه يتغير جوهرياً، بل يرتبط هذا الأمر بما يستنبطه من هذا المفهوم.

وخصوصاً إننا في الدين الإسلامي نلاحظ، تماشياً مع هذه الفكرة، أن النبي تنحصر رسالته على إجراء وتطبيق المودة بين الناس جميعاً. فلقد جاء في القرآن الكريم "و أرسلناك إلا رحمة للعالمين" (الأنبياء / ١٠٧) (Al-Anbiah:, V 21). حتى إن النبي كان يعرف نفسه على الناس بأسماء فقال: "أنا محمد، وأحمد، والمقفي، ونبي التوبة ونبي الرحمة" (المغربي، د.ت: ٥٩) (Al-Maghrebi: P 59)

ولا ينحصر النبي، نفسه، على تطبيق الرحمة بين البشرية بل إن الأنبياء جميعاً بعثوا لتعميم هذا المفهوم الأخلاقي بين البشرية. يقول القرطبي في هذه المناسبة "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بعث الله من الخلق العذاب إلى نفة الصور... وكذلك قال ﷺ (لنا رحمة مهداة) يخبر أنه بنفسه رحمة للخلق من الله. وقوله "مهداة" أي هدية من الله للخلق" (القرطبي، ١٤٢٣ق، ج ٤: ٦٣) (Al-Qortobi: 2003, V 4, P63)

بغض النظر عن ذلك، فإن رحمة الله لا تخص البشرية، بل كما يقول نفسه "و رحمتي وسعت كل شيء" (الأعراف / ١٥٦) (Al-Araf:, V 156) تعم رحمة كل ما يكون في الكون من الحيوانات أيضاً. ومن هذا المنطلق، نشاهد أن الأنبياء لا يحترمون حقوق الإنسان بل يحترمون حقوق الحيوانات مؤكداً للناس على المراعاة لها على إطلاق الأمر. فنشاهد

أنه "قد اقتدى أصحاب رسول الله ﷺ بخلقه الشريف الرفق بالحيوان: فهذا على من أسي طالب رضي الله عنه، يقول لمن يستعمله على الصدقات: ثم أهدر. إلينا ما اجتمع عندك نصيره حيث أمر الله به، فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها، ولا يمصر. لئبها فيضرك ذلك بولدها، ولا يجهدنها ركوبا، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها... وليوردها ما تمر به من الغدر، ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطرق، وليروحها في الساعات، وليمهلهما عند النطاف. والأعشاب، حتى تأتينا بإذن الله هدنا منقيات، غير متعبات ولا مجهودا" (المدني، ١٣٨١ق: ٢١) (Al-Madani: 1962, P 21)

وإن النعمة والعقوبة هي ما يقابل الرحمة، إلا أنها هي "رحمة من الله تعالى لعباده وفيها إرادة الخير لهم، والحفاظ على مصالحهم ودرء المفسد عنهم، وقد أشار ابن تيمية إلى إقامة الحدود شرعت رحمة من الله بعباده فهي صادرة عن رحمة الخالق وإرادة الإحسان إليهم ولهذا ينبغي لمن يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد ذلك الإحسان إليهم كما الوالد يقصد تأديب ولده، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض" (ابن تيمية، ١٩٩٩م: ٩٧) (Al-Madani: 1999, P 97). فإن الرحمة والعقوبة، من هذا المنطلق، كلاهما وجهها عملة واحدة، حيث يعد كل واحد منهما مكملاً أو متمماً للآخر. "فإن الفرائض التي ألزم الإسلام كل منته سب إليه، هي تمارين متكررة لتعويد المرء بأن يحي بأخلاق صحيحة، وأن يظل متمسكاً بهذه الأخلاق لهما تغيرت أمامه الظروف" (الغزالي، د.ت: ٧) (Al-Madani: P 7). ومن هذا المنطلق، إن "العبادات بأشكالها المختلفة البدنية، والمالية، أو كلاهما معاً، تلتقي عند غاية واحدة حددها الرسول ﷺ منذ الوهلة الأولى فقال: إنما بعثت لأقوم بحكام الأخلاق" (البيهقي، ١٩٩٤م: ج ١٠: ٣٢٣) (Al-Baihaqi: 1994, V10, P 323)

إشكالية البحث:

إن الرحمة تعد من المفاهيم الخاصة التي وردت الكتب السماوية قاطبة، ونظر كل من اليهودي والمسيحي والاسلامي نظرة منطبقة على مفهومها ومدلولها الحقيقي، إلا أن الاختلاف التفسيري - فيما بينها - من القرآن الكريم أوجد نوعاً من الفلسفة العملية خاصة لهذه الأديان، حيث يؤدي ذلك كله إلى أن يعتبر اليهودي المسلم كافراً، ومن هنا ينهد البناء الأخلاقي ويتم انحراف مفهومي من مصطلح الرحمة. وفضلاً عما سبق، فإن الرحمة ليست

مفهوما فردية البتة، بل إن لها التطبيق الاجتماعي والأسري وحتى عالمي بشكل عام. والذي يحرك البحث هذا هو أن الرحمة ليست مفهوما جامدا، بل ككائن حي يشمل جميع الطبقات الفردية والأسرية والاجتماعية وغيرها، ويلزمنا هذا الأمر أن نقف منها من أبعاد وزوايا مختلفة.

سؤال البحث:

ماهي تجليات الرحمة، في حالة تطبيقها في الحياة، تطبيقا حقيقيا صحيحا؟

فرضية البحث:

من المفترض أن الرحمة إذا انطبقت على الحياة - سواء كانت الحياة الفردية أو الأسرية أو الاجتماعية- انطباقا حقيقيا صحيحا، فإن لها آثار ونتائج إيجابية نحو الـ مسكينة والهدوء والتعامل الممتاز، حيث يؤدي هذا الأمر إلى انتهاء الصراعات الأسرية والاجتماعية خاصة والصراعات العالمية عامة.

سابقة البحث:

لقد طرق الكثير من النقاد والمحققين باب الرحمة ومفهومها كثيرا إلا أن هذه الدراسات تحورت، بشكل عام، حول دلالتها اللغوية. ومن هذه الدراسات تجدر الإشارة أولا إلى الكتب: منها "مفاتيح الرحمة" لبهروز رضايي كهريز وذلك يحتوي على أدعية نحو دعاء العهد والفرج وغيرها. "الرحمة في الطب والحكمة" ألفه جلال الدين عجد الرحمن السيوطي. ولقد تعرض الكاتب هنا بكليات في خصوص الطب. كتاب آخر تحت عنوان "الرحمة" لجابر بن حيان ويشتمل هذا الكتاب على رسالات في خصوص الكيمياء. كذلك تجدر الإشارة إلى كتاب "الرحمة الواسعة" ألفه محمد تقي بهجت وذلك، في الحقيقة عبارة عن نفعات من فيض الرحمة الالهية الواسعة، من سيد الشهداء عليه السلام. كذلك كتاب "صراط الرحمة: سيره علما وشهدا در احترام به والدين و يتيم نوازی" [منهج العلماء والشهداء في خصوص الاحترام للوالدين والحب للأيتام] لمصطفى عيسى زاده عسكر آبادي.

ومن المقالات المكتوبة في هذا الخصوص تمكن الإشارة إلى "أثر الرحمة في حياتنا" للفقي وقد تحدث الكاتب عن الرحمة النبوية وأثر هذه الرحمة في حياة الفرد. مقالة أخرى

(٤١٦) موقف القرآن من الرحمة وتجلياتها في الفرد والأسرة والمجتمع

عنوانها "معناشناسي رحمت رحيمه در قرآن" [دراسة معنوية لرحمة الرحيمية في القرآن الكريم] لأعظم پرچم وآخرين، حيث ألقى الضوء على صفة الرحيمية والرحمانية لله تعالى. دراسة أخرى عنوانها "من القسوة إلى الرحمة" بقلم الدكتور عبد الرحمن شهنيدر" ولقد تطرق الكاتب هنا إلى ما بين الرحمة والقسوة من تضاد، وأن رحمة الله ونعمته على ما جاء في القرآن، رحمة بكل ما في الكلمة من المعنى. مقالة أخرى عنوانها "الرحمة وآثارها" للبليني وقد تحدث الكاتب في هذه المقالة عن آثار الرحمة العالمة مثل الحنو والشفقة والتغاضي وغيرها من الأوصاف الأخلاقية الحميدة.

ومن الرسائل المكتوبة في هذا الحصوص "ألفاظ الرحمة وتراكيبها في القرآن الكريم (دراسة لغوية-تحليلية)" إعداد يوسف الصقيلي تحت إشراف فوزي ابراهيم فياض، وقد تطرق الباحث هنا إلى الرحمة ومشتقاتها في القرآن الكريم مثل الرحيم والرحم والتراحم وغيرها بشكل عام.

الرحمة لغوياً واشتقاقياً:

من خلال نظرة إلى أمهات المعاجم فإننا فهمنا أن الرحمة من زاوية الحقل الدلالي هي أن "الراء والحاء أصل يدل على السعة والانبساط" (ابن فارس، ١٩٧٩م، الجزء الثاني، ٣٨٥) (Ibn-Fares: 1979, V2, P 385). وتأيداً على ذلك قيل ((الراء، والحاء، والميم أصل واحد، يدل على الرقة والعطف والرأفة، يقال من ذلك: رَحِمَهُ، يَرَحِمُهُ: إذا رَقَّ له، وتعطف عليه، والرحم، والمرحمة، والرحمة بمعنى)) (ابن منظور، د.ت، باب الراء: ١٦١١ وابن فارس، د.ت، ج ٢: ٤٩٨) (Ibn-Mandhou: P 1611 , Ibn-Fares) (V2, P498). وبين صاحب أساس البلاغة: رحم: رحمة ورحمة ورحما... وتراحموا تعاطفوا (زمخشري، ٥٣٨: ٣٤٤) (Zamakhshari: P 538). وجاء في لسان العرب - أيضاً - رحم. الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضاً.

(ابن منظور، د.ت، باب الراء، الجزء ١٨: ١٦١١) (Ibn-Mandhour: V18, P 1161)

الرحمة اصطلاحياً:

ومن الناحية الاصطلاحية فإن هناك تعاريف لمصطلح الرحمة منها مثلاً جاء في كتاب الفيروز آبادي "إن الرحمة رقة تقتضي الإحسان للمرحوم وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو: رحم الله فلاناً. وإذا وصف به البارئ - سبحانه وتعالى - فليس يراد به الإحسان المجرد دون الرقة. وعلى هذا روي أن الرحمة من الله إنعام وإفضال ومن الآدميين رقة وتعطف" (الفيروزآبادي، د.ت، ج: ١، ٨٠٦) (Al-Firouz (Abadi: V1, P 806

ويعرفنا الراغب الاصبهاني علي أن الرحمة " رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تستعمل تارة في الرقة المجردة، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، نحو، نحو رحم الله فلاناً فلاناً، إذا وصف به البارئ فليس يراد به الإحسان المجرد دون الرقة " (الراغب الاصبهاني، د.ت: ١٩١) (Al-Raqib:, P 191) ولقد عرف الكفوي الرحمة بقوله: " هي حالة وجدانية تعرض غالباً لمن به رقة القلب، وتكون مبدأً للانعطاف النفساني الذي هو مبدأ الإحسان)) (الكفوي، ١٩٩٣م: ٤٧١) (Ibn-Mandhour:1993 , P 471)

ويصف البليني الرحمة من الأخلاق الكريمة والأوصاف الجميلة قائلاً ((رقة في القلب تقتضي العطف والحنان وتدعو إلى الرقة والشفقة وهي من العواطف الكريمة والخصال الطيبة الحميدة وقد وصف الحق سبحانه وتعالى نفسه في غير آية من كتابه: بسم الله الرحمن الرحيم)) (البليني، ١٣٨٢: ٧٨) (Al-Balini:1963 , P 78)

ومن هذا المنطلق، تجدر الإشارة إلى أن الرحمة حالة نفسية أو وجدانية تتجلى في سلوك الفرد وتعامله مع الأسرة، والمجتمع. وإذا التزم الفرد بهذه الصفة الأخلاقية فيرتقى مستواه الفردي والاجتماعي بشكل عام.

ومن ناحية أخرى، فلقد أشار الغزالي إلى أن الرحمة، بشكل خاص، ((في أفقها الأعلى وامتدادها صفة المولى تباركت أسماؤه، فرحمة الله شملت الوجود وعصا الملكوت، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شيء أشرق معه شعاع الرحمة، كما أن كثيراً من أسماء الله تبارك وتعالى ينبع منه الرحمة والعفو، لذلك كان من صلاة الملائكة لله عز وجل)) (الغزالي، د.ت: ٢١٦) (Al-Qazali:, P 216)

أنواع الرحمة (البشرية والإلهية):

ومن هذه الناحية يمكن تقسيم "الرحمة" إلى نوعين هامين هما "الرحمة البشرية والإلهية". فالرحمة البشرية تأتي من خلال هذين المحورين بشكل عام:

المحور الأول: رحمة غريزية، قد جبل الله بعض العباد عليها، وجعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والحنان على الخلق.

المحور الثاني: رحمة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة، تجعل قلبه على هذا الوصف (آل الدريني، د.ت: ٢٧٠) (Al-Aldarini: , P 270) على هذا فإن الرحمة من هذا المنطلق ذات مسحتين المسحة الغريزية التي جبل الانسان بها من دوان التصرف فيها أو قل غير إرادي، والمسحة الأخرى هي الاكتسابية التي يحصل عليها المرء عبر سلوكياته بشكل عام. ومن جهة أخرى، يمكن تقسيم "الرحمة الإلهية" إلى المحورين الآتين:

المحور الاول:

الرحمة العامة: إن هذه الرحمة الإلهية تعم جميع ما في الكون من المخلوقات. وهي فيما يسمى بالرحمة الرحيمية. ومن ناحية أخرى، إن رحمة الله الرحيمية، في الدرجة الأولى تخص الأنبياء الذين هم اصطفاهم الله لهداية الخلق، ومن كلامه سبحانه وتعالى "و هَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا" (مريم/٥٠) (Maryam:, V 50)

. وفي مرتبة أخرى تتعلق الرحمة الرحيمية بأولئك الذين يتميزون عن الآخرين بميزات معنوية خاصة. ومن كلامه تعالى "فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ" (نساء/١٧٥) (Nesa:, V 175). وفي أقل درجة منها تعم جميع المسلمين ففي الآية "أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" (آل عمران/١٣٢) (Al-Emran:, V 132) (□□م وآخرون، ١٣٨٩ش: ١٠) (parcham and other:201 , P 10)

المحور الثاني:

الرحمة الخاصة: وهذا النوع من الرحمة "تخص الله تعالى دونما أي إطلاق على أحد" (طبري، ١٤١٢ق، ج:١: ٤٦) (Al-Tabari:, P46). على هذا، فإن صفة الرحمانية لله دون سواه، وتتعلق بإفاضته الوجودية للبشرية.

الرحمة والعقاب:

لقد ذكر في القرآن الكريم خاصة والأحاديث الشريفة عامة، أن الإسلام دين الرحمة، إلا أن هذه الرحمة يكتنفه نوع من العقاب الذي حدده الله تعالى لهداية البشرية، إذن إن عقاب الله تعالى ليس عقاباً في حد ذاته بل وجه الرحمة الآخر بشكل عام. على هذا ينبغي القول: "فهو مع رحمته شديد العقاب، ومع غفرانه يجازي المسيئين الذين ليسوا أهلاً لغفرانه، وللرحمة مواضعه ولا يخلط بين هذا وذاك إلا ناقص، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإذا كان الشاعر يقول في شأن البشر:

وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِأَعْلَى مَضِرُّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

فما لنا بالاله الحكيم العليم المتصف بكل كمال، المنزه عن كل نقص صان؟ (المدني، ١٣٨١ق: ٢٠) (Al-Madani: 1962 , P 20)

فمن خلال هذه العبارات نفهم أن عقاب الله تعالى هو الوجه الآخر للرحمة، ذلك أنه وضع العقاب والمؤاخذه وغيرهما بين البشرية، حلاً لمشاكلهم الأخلاقية والحقوقية في المستوى الفردي، والأسري، والاجتماعي. وإن رحمته الله تأتي من كونه الثواب، والودود، والغفور، والرحمن، والرحيم، والحليم وغيرها من الصفات الحسنى الأخرى. عليه، فإن للإنسان أيضاً لازم أن يكون - مثل ربه - ليضع كل شيء في مكانه، أن يكون حليماً ورحيماً أحياناً، وشديداً وناقماً أحياناً أخرى.

الرحمة؛ تعددية المعنى وثنائية الدلالة

استشهداً على القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، نتوصل إلى أن الرحمة تعدد من المصطلحات التي لا تذخر بمدلول واحد، بل إننا نلاحظها تأتي في حقول دلالية متنوعة وتحمل معنى خاصاً بها، وذلك لا يتأتى إلا انطلاقاً من وظيفتها الاستعارية والمجازية، فقد تأتي بمعنى الجنة، وقد تدل على الرسول، وقد نشعرنا بنفس الرحمة والمودة وما إلى ذلك. ومن دلالاتها تجدر الإشارة إلى التالي:

١- القرآن الكريم: قد جاءت الرحمة بمعنى القرآن الكريم، ومن ذلك ما جاء في الآية:

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ فالرحمة في هذه الآية القرآن وهذا

(٤٢٠) موقف القرآن من الرحمة وتجلياتها في الفرد والأسرة والمجتمع

مروي عن الحسن والضحاك ومجاهد والقتاد (المهدي، د.ت: ١٠١٥) (Al-Mahdi:,)
(P 1015)

٢- النصر والظفر: ومن الآياتي الدالة على هذا المدلول: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ (الأحزاب: ١٧) (Al-Ahzab:, V 17)

فسر القرطبي الرحمة في الآية بقوله: قل من ذا الذي يعصمكم من الله، أي يمنعكم منه. إن أراد بكم سوءاً، أي هلاكاً. أو أراد بكم رحمة، أي خيراً و نصراً (القرطبي، ١٩٦٤، ج ١٤ / ١٥١) (Al-Qourtobi:1964 ,V14, P 151)

٣- المطر والشمس: ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَكِيلُ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى / ٢٨) (Al-Shaura:, P 28)

نقل ابن الجوزي في تفسير الرحمة في الآية، أنها على قولين: أحدهما المطر، والثاني الشمس بعد المطر (ابن الجوزي، ١٤٢٢، ٤: ٦٦) (Ibn-Aljozi:2002 , P 66)

٤- النبوة: ومن ذلك في القرآن الكريم ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾. أم عندهم خزائن رحمة ربك، أي بأيديهم مفاتيح النبوة فيضعونها حيث شاؤوا.

٥- الجنة: ومنه في القرآن الكريم ﴿وَلَنْكَ نَسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (العنكبوت / ٢٣) (Al-Ankabout:, V 23)

فالرحمة في هذه الآية هي الجنة، أي أولئك يياسون يوم القيامة من رحمة الله و هي الجنة (فتح القدير، ١٤١٤، ٤: ٢٢٩) (fath-Al Ghadir:1994 ,V4, P 229)

وبغض النظر عن هذه المعاني والمدلولات فإن الرحمة تعني في بعض الآيات المغفرة، والجنة، والقرآن الكريم، وما إلى ذلك وإنما في هذه الدراسة تطرقنا إلى ذلك إجمالاً خوفاً إطالة الكلام أو إطنبابه.

تجليات الرحمة:

سبق أن قلنا بأن الرحمة من المفاهيم والمصطلحات الإسلامية الهامة التي جاءت في

غير قليل من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، إنها تعدّ من الأخلاقيات الإسلامية الحسنة أو الحميدة التي انحصرت عليها فلسفة الإسلام النظريه وفلسفته العملية، ذلك أن النبي خاصة والأنبياء - غيره - عامة لم يبعثوا إلا ابتغاء تطبيق الأخلاقيات الحميدة عامة وسن الرحمة والتراحم فيما بين الناس، قصداً إلى الاهتداء إلى سبيل الرشاد بشكل عام. ومن الآيات المؤكدة على هذا الخلق الحميد - أي الرحمة - لما يخاطب الله تعالى نبيه محمد ﷺ، مؤكداً على رسالته الانسانية - الأخلاقية المنحصره على الرحمة، تأكيداً إلى درجة حصر رسالته على تعميم هذه الميزة الأخلاقية والبشرية الحسنة.

فيقول سبحانه وتعالى "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (الأنبياء/ ١٠٣) (Al-Anbiyah: V 103). فإننا نلاحظ في هذه الآية أن الرسول انحصرت رسالته على تطبيق الرحمة والتراحم بين الناس جميعاً. وتلبية لهذه الدعوة الإلهية وإستجابة لها يقول النبي الأكرم. (مجلسي، ١٤٠٣ق: ٣٨٢) (Majlesi:1983 , P 382)

فإن الرحمة، باعتبارها من الأخلاقيات المحموده إنما لها مكانة مرموقة في الدين الإسلامي، حيث إن الله لم يُلهم الأنبياء على تطبيق الرحمة بين الناس، بل إنه سبحانه وتعالى أكد- في القرآن الكريم- جميع البشرية على مراعاة الرحمة فيما بينهم، وإصلاح ذات البين وما إلى ذلك من الأخلاقيات الحسنة. على هذا، فإنه تجدر الإشارة إلى مستويات الرحمة التي تعد من ضمنها الرحمة الفردية والرحمة الأسرية والرحمة المجتمعية، وما يصدر عنها في حالة مراعاتها بشكل عام:

١- الرحمة الفردية: إن الإسلام، على حد تعبير ذاته والأنبياء وحتى النقد الكبار والمحللين، هو دين الرحمة، وذلك يأتي انطلاقاً من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة. إن الرحمة الفردية، كما يبدو من ظاهرها، تعني اهتمام الفرد بذاته لتطويرها في المجتمع، ولأن يكون موضع عناية الله تعالى من جهة، واهتمام الأسرة والمجتمع من جهة أخرى. فبما أن الرحمة مفهوم وجداني- نفسي، فمن جانب، وخلق من الأخلاقيات الإسلامية، من جانب آخر، فإن تجلياتها هي، في حد ذاتها، نفسية وأخلاقية أو سلوكية في وقت معاً. ومن هذا المنطلق يمكن تقسيمها إلى المحاور الآتية:

أ- الاحترام الذاتي: إن الله تعالى، في كثير من آياته الكريمة، أكد على كرامة الانسان وقيمه الكبيرة، معتبراً الاحترام الذاتي أو احترام الفرد لذاته ذات أهمية مبالغ فيها. حيث يقول في هذه المناسبة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَرَّمْنَا هَامَانَ عَلَى الْطَيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (Al-Isar:, P 70) (٧٠/الإسراء)

هذه الآية تشير على تكريم الإنسان من جانب الله تعالى وتفصيله على كثير من المخلوقات تفضيلاً.

وزاد من احترامه وتكريمه للبشرية إلى أن عدّه خليفة له في الأرض بشكل عام. وقال في مصحفه العزيز أيضاً في هذا الخصوص ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة/٣٠) (Al-Baqarah:, V 30)

فإن جعل الله الإنسان خليفة له في وجه الأرض يدلّ على مكانته المرموقة، وعظمته لدى الله تعالى.

إن الاحترام الذاتي، تبلغ أهميتها إلى حيث أن علماء الدين وحتى العلماء الأروبيين اعتبروا هذا الأيقونة من الأيقونات المحورية التي تبلغ بالفرد إلى مستويات اجتماعية ممتازة، حيث إن **Maslow** ماسلو يعتقد بأن الاحترام الذاتي حاجة نفسية- اجتماعية قائلاً "أما هو فيرى أن حاجات الاحترام تأتي في المستويات العليا من هرم الحاجات، فهو يرى أن الفرد بعد أن يشعر بالانتماء، تنشأ له الحاجة للاحترام، فهو يحتاج للاحترام من نفسه من خلال الشعور بقيمة الذات، ومن خلال الآخرين على شكل مكانة اجتماعية، وتقدير ونجاح اجتماعي، فإشباع الحاجة للاحترام لهذه المشاعر، قد يصبح الفرد أكثر قدرة، وأكثر إنتاجاً في كل مجالات الحياة". (الحلو، د.ت: ٣٥) (Al-Helou:, P 35) وتماشياً مع الفكرة أعلاه فإن الانسان محترم في حد ذاته، كما أنه يعجبه أن يكون محترماً في الفضاء الاجتماعي، وإذا لم ينل من هذه الحاجة فيواجه أعراض نفسية أخرى. فالاحترام الذاتي لم يتم التأكد عليه من قبل الإسلام بل إن النزعة العلمية أيضاً تجعل لها مكانة هامة لتطور شخصية الفرد وتنمية شعوره وتقوية مقدراته الفردية والاجتماعية. هذه هي ايجابياته، إلا أن سلبيات الاحترام الذاتي - في حالة عدم المراعاة به لدى الفرد- فإنها تصيب الفرد بالنقص في

الذات، وضعف المقدرة من الناحية النفسية (أو العلمية) ويساوره أيضا التآرجح العقدي من الناحية الدينية.

باء- الثقة بالنفس: هي قضية هامة أخرى التي تتصل بالرحمة الفردية ب شكل عام، وتجدر الإشارة إلى أن الثقة بالذات إنما لها علاقة دينامية مع الاحترام الذاتي.

و تماشياً مع تلك الفكرة، إن مجرد استشعارك بالمقدرة على التحكم بمجرى الأحداث في حياتك، فضلاً عن استعانتك بالله تعالى، هو أساس العمل الإنتاجي والقيادة الذاتية إن وفقك الله - عز وجل - لذلك فإن الذين لديهم ثقة بأنفسهم ويشعرون إنهم قادرون على التحكم ينتجون أكثر من غيرهم بدون شك... كما أن الثقة بالنفس هي دليل على احترام الذات، وهذا فيه تأثير مباشر على المقدرات الذاتية ويمكننا نلمس هذا في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِي﴾ (الشعراء / ٦٢) (Al-Shouara:, V 62)

قال موسى - ﷺ - قال كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ؛ هذا يدلنا على ثقته بالله تعالى أولاً واعتماده على نفسه ثانياً. (فوزي على، د.ت: ٣١) (Fouzi:, P 31)

فالثقة بالنفس لا تأتي إلا من خلال اعتماد الفرد على نفسه وكذلك استعانتك بالله تعالى، فإذا اجتمع هذان الأمران فتصير شخصية الفرد كحصن لا يمكن للشدائد أن تهبط فيها على الإطلاق. الواطن بنفسه لا يتردد أمام المشاكل ولا يهتز لأعاصير الحياة ويخبط مستقبله بشكل دقيق وناجح، كما أنه لا ييأس من رحمة الله وبركاته في حياته على الإطلاق. ولا يفوتنا أيضاً أن الثقة بالنفس والاستعانة بالله تعالى، إنما لها علاقة ثنائية، فكما أن الثقة بالنفس تلهم الفرد الصبر على الشدائد وتحمل أعباء الحياة، فإن الثقة بالله والتوكل عليه تجعله ثابت القدم في حياته وصموداً في عقيدته وإيمانه.

و من جميل كلام الله تعالى في هذا الخصوص لما يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق / ٣) (Al-Talaq:, V3) فالثقة بالله تعالى، انطلاقاً من هذه الآية، إنه من آثارها الطمأنينة والهدوء والسكينة في الحياة الفردية من جهة، والفلاح في حياة الدنيا والآخرة من جهة أخرى.

ومن تجليات الثقة بالذات، أيضاً، هي الصبر على الشدائد والمصائب أيضاً، هذه هي

حالة المؤمنين الذين هم صابرون وصامدون أمام المشاكل، متوكلين على الله تعالى، ومفوضين أمورهم له سبحانه وتعالى. جاء في القرآن الكريم في هذا الخصوص ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة ١٥٦/١٥٧) (Al-Baqarah:; V 156-157). فالصبر على المشاكل، كما أنها تزيد من ثقتنا بأنفسنا، إنما تهدينا أيضا إلى رحمة الله سبحانه وتعالى.

ج-التقدير الذاتي: التقدير الذاتي، ذلك يعني النظرة الى الذات، لا من الناحية الإيجابية المحضة ولا من الناحية السلبية المحضة، ذلك يعني أننا إذا نظرنا إلى أنفسنا إيجابياً فلتكن نظرنا بحيث لا تجعلنا نشعر بالتعالي والغرور والكبر، ومن الزاوية السلبية، إذا انتقدنا أنفسنا فنقوم بنقد ذاتي بناء يؤدي إلى بناء شخصيتنا بناء محكماً مستقيماً لا معوجاً متأرجحاً. لأننا إذا نظرنا إلى أنفسنا بنظرة تشاؤمية أو سلبية فهي نوع من الخط لشخصيتنا وتأثينا بالخوف والقلق، وتقلل من الكفاء الذاتي، كما أننا إذا نظرنا إلى أنفسنا نظرة إيجابية متجاوزة، عن حدها المحدد، فبالطبع يعرضنا هذا الأمر للشعور بالترفع، والتعالي، والتعجرف، والغرور وما إلى ذلك. عليه، فإن ما يطلبه الله تعالى من الانسان هو أن ينشئ نوعاً من التوازن والتعادل في تقدير ذاته بشكل عام، ليفلح في حياته الدنيا والآخرة.

و بناء على ذلك، فإننا نلاحظ أن الله تعالى قد كرم الإنسان في القرآن تكريماً، ويجعل له خليفة لنفسه على وجه الأرض حيث يقول في مصحفه الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً... وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ... وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/٣٠-٣١-٣٣) (Al-Baqarah:; V 30-31-32). ففي هذه الآيات ن شاهد أن الله تعالى رفع منزلة الانسان وفضله على جميع خلقه، يجعله خليفة له في الأرض، والنقطة الهامة الثانية التي تتوصل من خلالها إلى مكانة الانسان العظيمة، فإنها تتبلور في تعليم الله تعالى لآدم الأسماء كلها، وهذا امتياز آخر للبشرية على الكائنات كافة. وذروة هذا التكريم يتبلور حيث الله يأمر الملائكة بالسجود للانسان ويخضع له الشيطان مستكبراً على الانسان إذن ألا يعتر بنفسه ولا يترفع نفسه عن الآخرين ويرى نفسه جزيئاً من الكون.

على الرغم من أن الله تعالى، يكرم البشر تكريماً في مواضع كثيرة من كتابه، إلا أنه أيضاً قد يندب- بل حتى يبشر أحياناً- هذا الإنسان بعذاب أليم، فهذا الأمر يدل على أن الانسان قد يرتكب جريمة أو إثماً تجعله هي منفوراً ومحروماً من نعم الله تعالى، لتتخط درجته إلى أسفل الدرجات. ومن كلامه سبحانه وتعالى في هذا الخصوص لما يقول: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف/١٧٩) (Al-Araf:, V 179). فيها هنا نلاحظ أن الانسان إذا لم يكن متأملاً بقلبه في الكون وحقيقة الحياة، وكذلك مبصراً بعينه في ما يكون في الكون من النعم، فعلى حد تعبير القرآن، هو كالأنعام بل هو أضل منها.

فإن التقدير الحقيقي، هو النظر إلى الذات بنظرة متعادلة ومتوازنة - لا مت شائمة ولا متفائلة متجاوزة- وذلك لا يتأتى إلا من خلال إعادة النظر إلى ذاتنا بنظرة سليمة وإيجابية، فلا نصنع من أخطائنا جسراً للشعور بتدني الذات أو الخط منها بل ونحسبها تجربة أو جسراً للوصول إلى الحقيقة المطلوبة. ((وهذا هو المنهج الرباني في التعامل مع الأخطاء، فها هم الصحابة في غزوة أحد يخطئون ويخالفون أمر النبي صلى الله عليه وسلم وها هو القرآن ينزل بقرعهم على فعلتهم ويوبخهم على أخطائهم، ولكن يربت على ظهورهم ويقول لهم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩) (Al-imran:, V 139). فالإنسان يجاسب نفسه ولكن يحاسبها الحساب الإيجابي الذي يولد العمل والإنجاز والثقة بالذات، وليس المقت السلبى الذي يورث القلق والفرع واحتقار الذات والصراع معها)) (عطاء الله، واجحة النفس، ٢٠١٣م/ <https://s.alarab.qa/>) (Ata-Allah,Aahat) (Alnafs: 2013). المفهوم الجوهرى الذي يؤكد عليه القرآن أيضاً في هذا الخصوص هو التوازن والتعادل، في تقدير الذات، وليس غير.

٢- الرحمة الأسرية: إن الأسرة هي في حد ذاتها تعد محطة هامة أخرى صارت موضع العناية من ناحية الفلسفة الإسلامية، لأنها، ذاتياً، هي نواة المجتمع والحجر الأساس لها أساساً، فالقرآن نفسه هو الذي أكد في نواح متعددة من الآي الكريمة على مراعاة الرحمة بين أفراد الأسرة ولزوم المودة في سلوكياتهم. فمن الآيات التي نزلت تأكيداً على لزوم المودة والرحمة بين أعضاء الأسرة - حيث يقول سبحانه

وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَنْزُلًا جَا تَسْكُونًا فِيهَا﴾ (الروم / ٢١) (Al-Roum:., V 21). فإننا في هذه الآية نلاحظ أن الله تعالى يعرف علينا الزوجة باعتبارها ملجأ سكوننا وهدوئنا، ومن نعمه أيضاً إنشاء المودة والرحمة بين الزوج والزوجة. فهذا كله يدل على أهمية تشكيل الأسرة من جهة، والالتزام بالاحترام المتقابل من جهة أخرى. وكثيرة هي الآيات التي تدلنا على أهمية مفهوم الرحمة وتطبيقها في الأسرة خاصة، والمجتمع عامة. ومنها حيث يقول في نفس السورة وفي نفس الآية أنه ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فيها هنا إشارة القرآن الكريم إلى أن الله تعالى خلق فيما بين أعضاء الأسرة نوعاً من المودة والرحمة ليعيشوا معاً آمنين، ودونما أي عراك أو شجار يزلزل كيان الأسرة وبنائها.

بشكل عام، إن الزوجة في الآية الأنفة الذكر هي بالطبع سكن الزوج هو الساكن فيه، دون أن يكون ممتلكاً إياه، أو مسيطراً عليه على إطلاق الأمر، ومن هذا المنطلق، ينبغي القول بأن العلاقة الأسرية بين الزوج والزوجة، هي، نوع من الأخذ والعطاء، لأنه يتبادل بينهما السلوك الذي يتميز بالمودة والرحمة، فكل منهما يتأثر بناؤه الحافظي عن الآخر، خصوصاً أن الزوجة هي منفعة تجاه التصرفات الغليظة والمتشددة، لذلك القرآن يأمر الزوج على التعامل الجيد معهن حيث يقول: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء / ١٩) (Al-Nesa:., V 19). كما أن القرآن وضع حقوقاً من الزوج على الزوجة أيضاً، وهي تتجلى في - سن التصرف معه والالتزام بطاعته وغيرهما. ف جاء في القرآن الكريم، في هذه المنا سبة، ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء / ٣٤) (Al-Nesa:., V 34). على هذا الأساس، فإن من حقوق الزوج أن تكون زوجته الصالحة، والتابعة له في إنجاز الأمور، والمحافظة على نفسها له في حالة غيابه عنها على الدوام.

بغض النظر عن تأكيد القرآن على لزوم المودة والرحمة في الأسرة، فإن الأحاديث الشريفة أيضاً تؤكد على التفاهم الأسري على الدوام. وفي هذا المجال، يقول رسول الله ﷺ: خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي (الترمذي: ٣٨٣٠) (Al-Termazi:., P 3830). وفي هذا الحديث إشارة عميقة إلى التواصل الأسري، فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان من أكثر الناس عناية بأسرته وأشد الناس اهتماماً بهم، وأعطفهم لهم

بشكل عام. وجعل من نفسة أسوة للناس لينهجوا منهجه ويحتذوا حذوه في إدارة الأسرة والعناية بها. عليه، وإنه من تجليات الرحمة الأسرية تجدر الإشارة إلى المحاور الآتية:

أ- العناية بالوالدين الرحمة بهما: الاحترام والعناية بالوالدين من المحاور الهامة التي سلط الضوء عليها القرآن الكريم والشريعة الإسلامية، حيث نلاحظ غير قليل من الآيات المؤكدة عليها والأحاديث المروية عن أهميتها وخطورتها في تكوين بناء أسري جيد. فجاء في القرآن الكريم ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِالْوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ (العنكبوت / ٨) (Al-Ankabout: V 8). فها هنا نلاحظ أن القرآن كيف يؤكد على لزوم الإحسان إلى الوالدين- من جانب الأولاد- والعناية والاهتمام بهم في شؤون حياتهم عناية فائقة، وذلك أنهما حاولا كثيرا لرعاية أبنائهم وتعليمهم كيفية التعايش في المجتمع، فضلاً عن أنهما يورثان الأولاد على نفسيهما إيثراً حقيقياً. فلقد جاء في القرآن الكريم، تأكيداً على هذه الفكرة، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا بَلَغْنَا عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنهزهما وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء / ٢٣-٢٤) (Al-isra: V 23-24). ففي هذه الآيتين، نلاحظ أن الله تعالى أمر الأولاد على عبادته أولاً والإحسان إلى الوالدين وإكرامهما ثانياً بحيث ينبغي لهم أن يتعاملوا معهما تعاملأ - لاسيما عند كهولتهما- دون أية منة أو أف، ومصحوباً بالنظرة الرحيمة والعمل المخلص.

و من جهة أخرى، لقد عني القرآن بالمرأة عناية أكثر مما مضى علينا من الآيات، بل فرض الأولاد على احترامها احتراماً خاصاً، هذا الامر بسبب كثرة تحمّلها للمصائب والشدائد، وإخلاصها في تربية الأولاد والعناية بهم من الناحية الروحية، والعاطفية، والجسدية، والاجتماعية، فضلاً عن عنايتها بالزوج على الدوام. وتوضح لنا هذا الأمر آية من سورة لقمان وها هي ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَتْأَ عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ﴾ (لقمان: ١٤) (Luqman: V 14). ففي هذه الآية تأكيد ضمني أو تلويحي على مراعاة حقوق الأم في الأسرة من ناحية الأب عامة والأولاد خاصة، وذلك لأنها حملتهم في بطنها أقل من سنة بقليل ورضعتهم طول سنتين كاملتين، هذا بالإضافة إلى عنايتها بأب الأسرة عاطفياً وفردياً.

لَمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٢﴾ (الشورى / ٤٢) (Al-Shoura: , V 42)

فمن حقوق الأولاد على الوالدين الاحتفاظ بوجودهم ولو كان وضعهم المالي ضعيف جداً، لأن الله يعطي رزقه من حيث لا يحتسب، كما أنهم أمانة على الوالدين من جانب الله تعالى، فالواجب عليهم الاحتفاظ بهذه الأمانة. فها هنا نلاحظ أن القرآن يأمر الانسان بعدم قتل أولاده خوف الفقر والحاجة قائلاً: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِبْلَاقٍ نَحْنُ نَنْزِعُكُمْ وَأَبَاءَكُمْ﴾ (الأنعام / ١٥١) (Al-Inaam: , V 151). هذه هي الوظيفة الأولى التي أصر الله الوالدين بإنجازها في خصوص أولادهم. أما الوظيفة الثانية اللازمة القيام بها من جانب الوالدين فهي تربية الأولاد تربية منطبقة على الشريعة الإسلامية، من تجلياتها تلاوة القرآن الكريم وحفظه، أداء الصلاة، وذكر الله تعالى، واختيار اسم جميل لهم، وغير ذلك. فنواة وظيفة الوالدين هنا إنشاء الجيل الصالح، المؤمن بالله تعالى، الملتزم بالإسلام وحقائقها المذكورة. نظرا إلى ما سبق نجد الله تعالى يقول بلسان ابراهيم: ﴿وَمَرَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾ (ابراهيم / ٤٠) (Al-Ibrahim: , V 40). فالذرية المنشودة لدى الإسلام هي التي تقوم بواجبها الشرعي مؤمنا بالله تعالى ومصليا له البتة.

٣- الرحمة الاجتماعية: يعد هذا النوع من الرحمة محورا هاما آخر لهدف كل الرحمة بشكل عام، فإنه هو البناء الفوقاني للرحمة وإن الرحمة الفردية والأُسرية هـا البناء التحتاني لها، لأن الفرد هو سبب تشكيل الأسرة والأُسرة خطوة تمهيدية لتكوين البناء الاجتماعي، فلولاها لانهار البناء الاجتماعي، ولانهارت الرحمة الاجتماعية على أثره البتة. على هذا الأساس أكد الإسلام على لزوم تطبيق الرحمة الاجتماعية في المجتمع خوف ألا يضيع حق كل مسلم أو مسلمة على إطلاق الأمر.

لذلك، إذا لم تكن هناك رحمة اجتماعية للنبي الأكرم لوجدت هوة في المجتمع آنذاك، وتعرض المجتمع للتفكك والانهيار المطلق، لذلك جاء في القرآن الكريم في خصوص النبي ﷺ ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران / ١٥٩) (Al-Imran: , V 159). فعلى هذا الأساس، إن تشكيل البناء

الاجتماعي، إنما أساسه هو الرحمة التي قد انطبعت على الفرد والأ أسرة ابتداء وعلى المجتمع أخيراً. ومن جهة أخرى، إن الإسلام يعدّ المجتمع كجسد يمتاز بنوع من الحيوية والنشاط، فإذا تعرض عضو منه بالألم، شعر باقي الأعضاء بالألم أيضاً، وفي هذا دلالة على أنه -أي المجتمع- هو وحدة عضوية دينامية بشكل عام. لذلك يقول في هذا الخصوص: ﴿مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَبِعَاطِفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ: إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْمِ وَالْحُمَى﴾ (مسلم، د.ت: ٦٠١١) (Muslim:., P 6011). ومن الطبيعي، من خلال ما مضى، أن البشرية لهم حقوق متساوية ومتعادلة، وليست لأحد الأفضلية على الآخر.

ومن تجليات الرحمة الاجتماعية، في الإسلام، تجدر الإشارة إلى المحاور الآتية:

أ- التساوي ومخالفة العنصرية: من القضايا الهامة التي عني بها القرآن على وجه خاص، هو وجود التساوي والحقوق الاجتماعية المتساوية بين البشرية بشكل عام، ومن مصاديق ذلك لما يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات / ١٣) (Al-Hujarat:., V 13). ففي هذه الآية نلاحظ تأكيدين هاميين: التأكيد الأول هو التساوي بين الذكر والأنثى، والتأكيد الثاني هو التساوي فيما بين البشرية في البناء الاجتماعي، من الناحية الانسانية، إلا أن درجاتهم تحت لطف من الناحية الإيمانية أو العقدية، عند الله تعالى، فكلما صار الفرد أشدّ قرباً إلى الله صار الأتقى لديه من بقية أئداده بشكل عام.

من هذا المنطلق، يرفض الإسلام العنصرية، والتمييز، والتفرقة، بين البشرية بوجه خاص، ففي هذه المناسبة قيل إنه "لقد ألغى الإسلام كل عوامل التمييز والتفرقة بين الناس عنصرية كانت أو إقليمية أو لونية أو طبقية، ووجه خطابه إلى الناس كافة، لا إلى طائفة خاصة منهم، مبيناً وشائج القربى بين بني البشر. فهم جميعاً عباد لرب واحد، خلقهم فسواهم، وهم جميعاً أبناء رجل وامرأة فقد ربطت بينهم المعبودية لله والنبوة لأدم وزوجه" (القرضاوي، ١٩٩٧م، ط١: ١٢٥) (Al-Qarzewi: 1997, V1, P125). على هذا الأساس، إن البشرية جميعاً على حد سوي من الناحية الانسانية، فلا فرق بينهم، مع كل ما

يترتب عليهم من الاختلافات الإقليمية، أو اللونية، أو الطبقة وغيرها بوجه عام. وإن هذه المجازر البشرية التي تقتل فيها الأبرياء من الأطفال والنساء، أو القسوة التي تجري بين الدول المختلفة - مسيحية كانت أو إسلامية أو يهودية - هي، في حقيقة الأمر، نتيجة عدم وجود الرحمة بينهم من جهة، والتذرع بذرائع عنصرية من جهة أخرى.

باء- مراعاة العدالة الاجتماعية ومخالفة العنف: إن تطبيق العدالة الاجتماعية، والمواجهة ضد العدوان، وكل ما ينافي الحقوق الاجتماعية، هو بالطبع جزء لا يتجزأ من المجتمع المثالي أو المجتمع الذي قد عرفه الإسلام علينا جميعاً، فإجراء هذه الأمور هو بمثابة الرحمة الممدوحة في الإسلام "وهي - أي الرحمة الممدوحة - هي التي ترفع حقوق الأفراد والجماعات، وتبذل للصالح العام، وتوجد في حدود الدين، حتى تكون وسيلة لحماية الأمة من الفساد، وأسير بها في طريق الكمال" (البليني، ١٣٨٢ش: ٧٨) (Al-balini: 2003, P 78). فوجود التراحم بين الناس، على هذا، يبعد المجتمع عن الفساد، ويجعله في نطاقه الحقيقي الذي أراد الله من خلال القرآن الكريم. ومن جهة أخرى، يطبق الأخلاق الحضارية، والصبغة المدنية بين المجتمعات. وزد على ذلك، في الحالة هذه، لن يطبق مجتمع على آخر وفرد على مثيله على إطلاق الأمر. الخلاصة ((أنه لو اتصف الناس بالرحمة لكانوا كاملين في إنسانيتهم، فلم يفعلوا فعل هذه الوحوش الضارية بإخوانهم وبني نوعهم. لو تمت الرحمة في النفوس لما التهمت الأمم القوية الأمم الضعيفة، ولما فعلت بهم ما نفع له أقوى الحيوانات بأضعفها. على أن الحيوان لا يفترس أبناء نوعه مما كانت وحشيته وشراسته. (اللدجوي، ١٣٥٤ق: ١٦٢) (Al-Dajvi:1936, P 162). هنا نصل إلى أن الإنسان يتأرجح بين حالتين هما: أولاً الحالة الانسانية الكريمة التي يود خلق الله تعالى ويرحمهم رحمة كبيرة، وثانياً الحالة الحيوانية الضارية التي تعرض حقيقته للانهايار الكامل وترده إلى أسفل السافلين، أو كالأنعام بل الأضل.

الخاتمة:

بناء على ما سبق أن قلنا عن الرحمة وأبعادها وتجلياتها انطلاقاً من القرآن الكريم، توصلنا إلى النتائج الآتية:

• إن الرحمة الفردية أساس الرحمة الأسرية والاجتماعية، بسبب أنه، عالم يمكن الفرد رحيمًا بذاته ونفسه، فلن يكون رحيمًا بنظيره، فالرحمة الفردية إذا تم تطبيقها على حياة الفرد يرحم الفرد لنفسه أولاً وللأسرة والمجتمع ثانياً. وإن تأكيد الإسلام والقرآن الكريم على الرحمة الفردية، فذلك باعتبارها حجر الأساس للرحمة في أبعادها الأخرى، فإذا لم تكن هذه الرحمة، فلن تكون الرحمة بأبعادها الأخرى البتة. عليه، فإن للرحمة نسبة تلازمية مع الرحمة الفردية والاجتماعية.

• الرحمة الأسرية: إن أهمية الرحمة الأسرية أيضاً تأتي من كونها أساساً لتكوين بنية المجتمع، فإن لها علاقة وطيدة مع المجتمع، بحيث إنه - المجتمع - يتكون من خلال الأسرة، وينهج منهاجاً موافقاً معه، عليه، فإن كانت الأسرة ذات مسحة أخلاقية كريمة، فالمجتمع يبدو أخلاقياً وكرامياً من ناحية أبنائه، وعلى العكس، إذا كانت الأسرة ذات مسحة أخلاقية شنيعة فإن المجتمع، في الحالة هذه، يسيّر مسيراً لئلاً أخلاقياً واللامبالئياً من ناحية أبنائه بشكل عام. ذلك أن الأسرة هي نواة المجتمع فذلك يعني بوجودها، نظيفة كانت أو شنيعة. والتدليل على ذلك، أنه ورد في القرآن الكثير من الآيات التي توصي إلى لزوم التراحم، والمودة، ولين في الأسرة.

• الرحمة الاجتماعية: إن الرحمة الاجتماعية هي، في حقيقة الأمر، وليدة الرحمة الأسرية، وإن تطبيقها على المجتمع يؤدي إلى مراعاة الحقوق الفردية والاجتماعية بشكل عام. فالرحمة الاجتماعية لا تحصل إلا إذا كانت العدالة الاجتماعية والحقوق الاجتماعية محل العناية من قبل أفراد المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدىء به القرآن الكريم

- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، (د.ت) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الجافي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دارالنشر، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- البليني، عبدالمطلب يوسف صلاح، عبد الرحيم فرغل (١٣٧٠ق). الرحمة، كنوز الفرقان، العدد ٢٨، صص: ٥-٩.
- البليني، عبد الرحيم فرغل، (١٣٨٢ق). منبر الإسلام، السنة العشرون، العدد ٤، صص: ٧٦-٧٨.
- الدجوي، يوسف (١٣٥٤ق). الرحمة، مجلة الأزهر، المجلد السادس، الجزء ٦، صص: ١٦٤-١٧٠.
- القرضاوي، يوسف، (١٩٩٧م). مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- شنتوح، ليلا، (د.ت). الرحمة في القرآن الكريم والكتاب المقدس (دراسة مقارنة)، المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام. قسم الدراسات الإسلامية.
- الاصبهاني، الحسن بن علي، (بلارقم ولاسنة)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت: دارالمعرفة.
- القريني الكفوي، ابوالبقاء ايوب بن موسى الحسيني (٥١٩٠٤): الكلمات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة. د.ت.
- الغزالي، محمد (د.ت). خلق المسلم، د.ط، دارالكتب الإسلامية.
- المدني، محمد محمد، (١٣٨١ق)، الإسلام دين الرحمة، منبر الإسلام، السنة التاسعة عشرة، العدد: ٥، صص: ١٩-٢١.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، (١٩٩٩م). السياسة الشرعية في إصلاح الراعي، والرعية، ط ٤، مصر: دارالكتب العربي.
- البيهقي، ابوبكر احمد بن الحسين بن علي (١٩٩٤م). السنن الكبرى، تحقيق: احمد عبدالقادر عطاء، ج ١٠، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية.
- السعدي، عبد الرحمن، (٢٠٠٢م). بهجة القلوب الأبرار وقررة عين الأخيار في شرح جوامع الأخبار، تحقيق: عبد الكريم آل الدريني، ط١، الرياض: مكتبة الرشد.

(٤٣٤) موقف القرآن من الرحمة وتجلياتها في الفرد والأسرة والمجتمع

- بيرجم، اعظم وآخرون، (١٣٨٩ش). معنا شناسي رحمت رحيمه در قرآن: دراسة معنوية للرحمة الرحيمية في القرآن، مجله علوم القرآن والحديث، العدد: ١٤، صص: ٩٥-١١٦.
- المغربي، الامام محمد بن سلمان، جمع الفوائد من جامع الأصول و مجمع الزائد، تحقيق: ابو علي سليمان بن دريع، الجزء الاول، ط ١: دار بن خرم.
- الزمخشري، محمد بن عمر الخوارزمي، (١٩٧٩م)، أساس البلاغة، دار النشر: دار الفكر.
- ابن منظور الأنصاري الإفريقي، محمد بن جمال بن مكرم، (١٤١٤هـ). لسان العرب، ط ٣، بيروت: دار صادر.
- القزويني الرازي، أبو الحسين: أحمد بن فارس، (١٩٩٧م). مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: مكتبة الأعلام الإسلامي.
- الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (١٤١٢ق)، جامع البيان في تفسير القرآن، بيروت: دار المعرفة.
- القرطبي، محمد بن أحمد، (١٩٦٤م). تحقيق: أحمد بن البردوني إبراهيم أطفيش، ط ٢، القاهرة: دار الكتب المصرية.
- الجوزي، ابوالفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي (١٤٢٢ق). زاد المسير في علوم التفسير، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط ١، بيروت: دار الكتاب العربي
- الشوكاني اليمني، محمد بن عبدالله، (١٤١٤ق). فتح القدير، ط ١، دمشق - بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.
- مجلسي، محمد باقر، (١٤٠٣ق). بحار الأنوار، ج ١٨، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الحلو، د. بشية منصور، (د.ت). دراسات متنوعة في الشخصية، دار النهضة العربية.
- فوزي علي، د. عث هان، (٢٠٠١م). التخطيط في ضوء القرآن الكريم، ط ١١، بغداد: مجلة العلوم الإسلامية.
- البخاري، محمد بن اسماعيل، (١٩٩٠م). صحيح للبخاري، ط ٢، مصر - القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- الوكيل، محمد (١٩٩٧م). فقه الأولويات دراسة في الضوابط، ط ١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.